التاجر والسفينة الغارقة

عماد حسن الشافعي
رسوم عطيه الزهيري

مكتبة الإيمان للنشر والتوزيع
المنصورة - بجوار جامعة الأزهر ت:٣٥٧٨٨٢

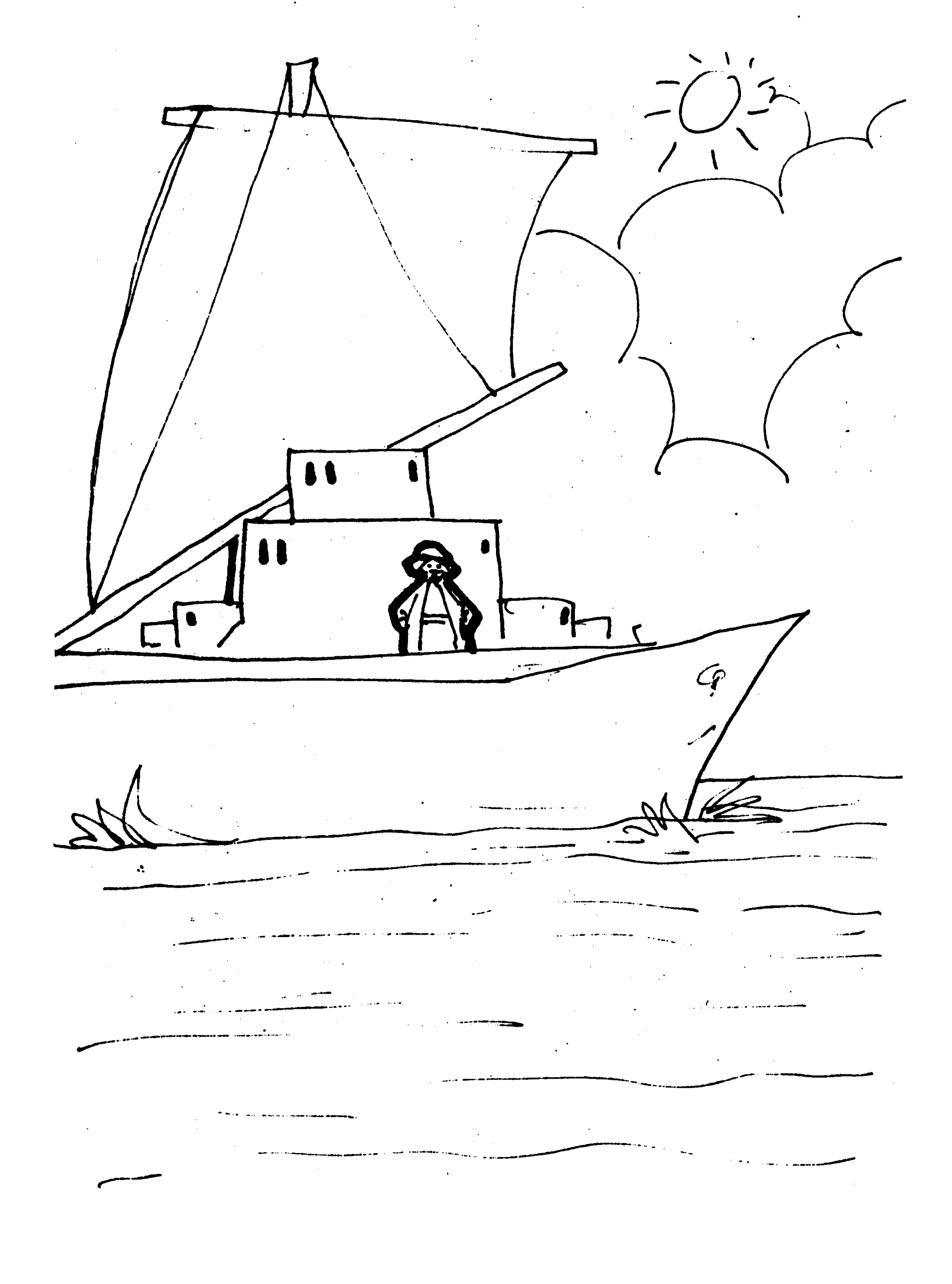
بسم الله الرحمن الرحيم

« التاجر والسفينة الغارقة »

يُحْكَى أن تاجراً عربياً كانت له تجارةٌ كبيرةٌ، وأموالٌ كثيرةٌ وكان هذا الرجلُ مؤمناً أميناً، يؤدى فرائضَ الله، ويؤدى الزكاةَ، ويُنفقُ من ماله على الفقراءِ والمساكين والمُحتاجين.

وكان هذا التاجرُ يحبُ عملَه جداً، ويسعى بجدٍ فى طَلَبِ الرِزق.. فيسافرُ إلى اليمن فى رحلةِ الشتاءِ، ويرحلُ بتجارته إلى الشام فى رحلةِ الصيفِ، ويعود إلى بلده مُحَمَّلاً بالبضائع والخيرات.

وذات عامٍ قرر أن يَرْحلَ بتجارته إلى بلادِ الهند، فركب السفينةَ مع البضائع والرجال، وغاب مُدةً طويلةً ثم عاد من رحلته مُحَمَّلاً بالنفيس والغالى من هذه البلاد.



فسأله الناس عن أعجب ما رآه فى بلاد الهند، وعن الربح الذى عاد به من تلك البلاد.

فقال لهم:

سارتْ بنا السفينةُ ليالىَ وأياماً تَمْخُرُ العُبَاب، وتَسْبقُ الرياحَ، ثم فجأةً ثار البَحرُ، وهاجَ الموجُ وهبَّتْ العاصفةُ، وباتت السفينةُ المُحملة بالبضائع والرجال تسيرُ فى موجٍ كالجبالِ، وتتأرجحُ بنا كأنها الأُرجوحة.

ونظرتُ برهبةٍ إلى السحابِ، وإلى البحرِ، وإلى العواصفِ، كلُ شىءٍ قد انقلبَ حالُه، وتغيَّر طبعُه.

وأيقنتُ بأنها غُمَّةٌ ليس لها من دُون الله كاشفةٌ، ولا حيلة لنا فيها. فتوجهت بكل مشاعرى وخواطرى إلى الله، وقلت بخشوع وسط دموعى وأنا رافع وجهى إلى السماء:

« يارب يامُغيث.. لا مَلجأ ولا مَنْجَا منك إلا إليك.. يارب أجِرْنا واجعل لنا مَخْرجاً».



وامتلأتْ السفينةُ بمياه البحر، وبدأتْ تغرقُ رُويداً رُويداً.

كان الركابُ كُلهم فى ذُعْرٍ ورُعْبٍ، كل واحدٍ يبحثُ عن وسيلةٍ للنجاة، وتشبثتُ بلوحٍ خشبى، وأخذ الموج يرفعنى ويَحُطُّنى، وأنا فى أشدِّ حالات الإعياء.. ولا أعْرِفُ كم من الوقت مضى وأنا على ذلك الحال، وأدركتنى عنايةُ الله، فسلمتُ بنفسى فى جزيرةٍ من جزائرِ الهند، وتلقَّانى القومُ، وحملونى إلى الشاطىء، ولا زالوا معى حتى أفقتُ وشُفيت .

وجاءوا بى إلى ملكهم فسألنى: من أنت أيها الرجلُ الغريبُ، وما حكايتك؟

فقلتُ له: إننى تاجرٌ من بلاد العَرب، خَرجتُ بتجارتى وأموالى قاصداً الهند، ولكن شاءتْ الأقدارُ أن تتحطمَ السفينةُ وتغرقَ بما فيها من رجالٍ ومالٍ وأدركتنى عنايةُ الله، فنجوتُ بنفسى.



قال الملكُ: أيها الرجل، إنك الآن قد فقدتَ الموهبة الخارجةَ عنك ـ أعنى المال ـ فما معك من الموهبةِ الثابتةِ عليك؟

فقلتُ: معى الكتابةُ والحسابُ.

فقال الملك: لا بأسَ عليكَ، فما بقى لك من العلم أفضلُ مما ذهبَ منك.. وتلك دائماً الحياة.. يذهبُ المالُ أو يجىءُ ولكن يبقى للإنسان ما تعلمه.

.. أيها التاجر العليم، إننى أرى أن تُعلِّمَ ابنى الكتابة بالعربية، وتعلمه الحسابَ فقد نُعوضك عن الذى فقدته خيراً.

فقُلتُ له: اشكرك يا سيدى على أن منحتنى هذه الفرصة، فأنا بطبعى أحب العِلْمَ، وأحبُ العمل وسأبذلُ إن شاء الله طاقتى وجُهدى فى تعليم ولدك مما عُلِّمت.

وسلَّم إلىَّ من ولده أذكى صبىٍّ وألطفه، وأعدّ لى منزلاً



فى بيته، وكان يَخصُّنى بأطيبِ الطعام، وأَجْود الثيابِ، وكنت بدورى لا آلُ جُهداً فى تعليم ولده.

وكان هذا الغلام بحقٍ ذكياً نابغاً، يحبُ العلمَ ويقدِّرُ الوقتَ، ويحترمُ أستاذه.

كان يتقدمُ فى العلمِ سريعاً، وعلمتُه كتابةَ العربية وعلمته بعضاً من الحكمةِ ومآثر العرب، وعلمته الحسابَ فى مُدَّةٍ يسيرةٍ ما يتعلمه غيره من الأولاد فى مدةٍ طويلة.

وذات يومٍ دخل علىّ صاحب الملك وقال: معى هدية من الملك إليك.

قلت له: هاتها.

فأدخل إلىّ بقرةً قويةً فتيَّةً جـــميلةً، فنــظرتُ إلى هـــدية الملك بدهشةٍ، وقلت فى نفسى: ماذا أعملُ بهذه البقرة؟! .. فأنا لا حـــاجةَ لى بها الآن كما أننى لا أُجيد رعى البقر.



فقال الرجل: أدفعها إلى الراعى ليرعاها لك مع القطيع.

قلتُ: لا مانع.. افعل ذلك.

وصَغُر فى عينى أمر الملك على عِظَمِ شأنه، وكنت أَحْسَبُه رجلاً حكيماً عاقلاً.

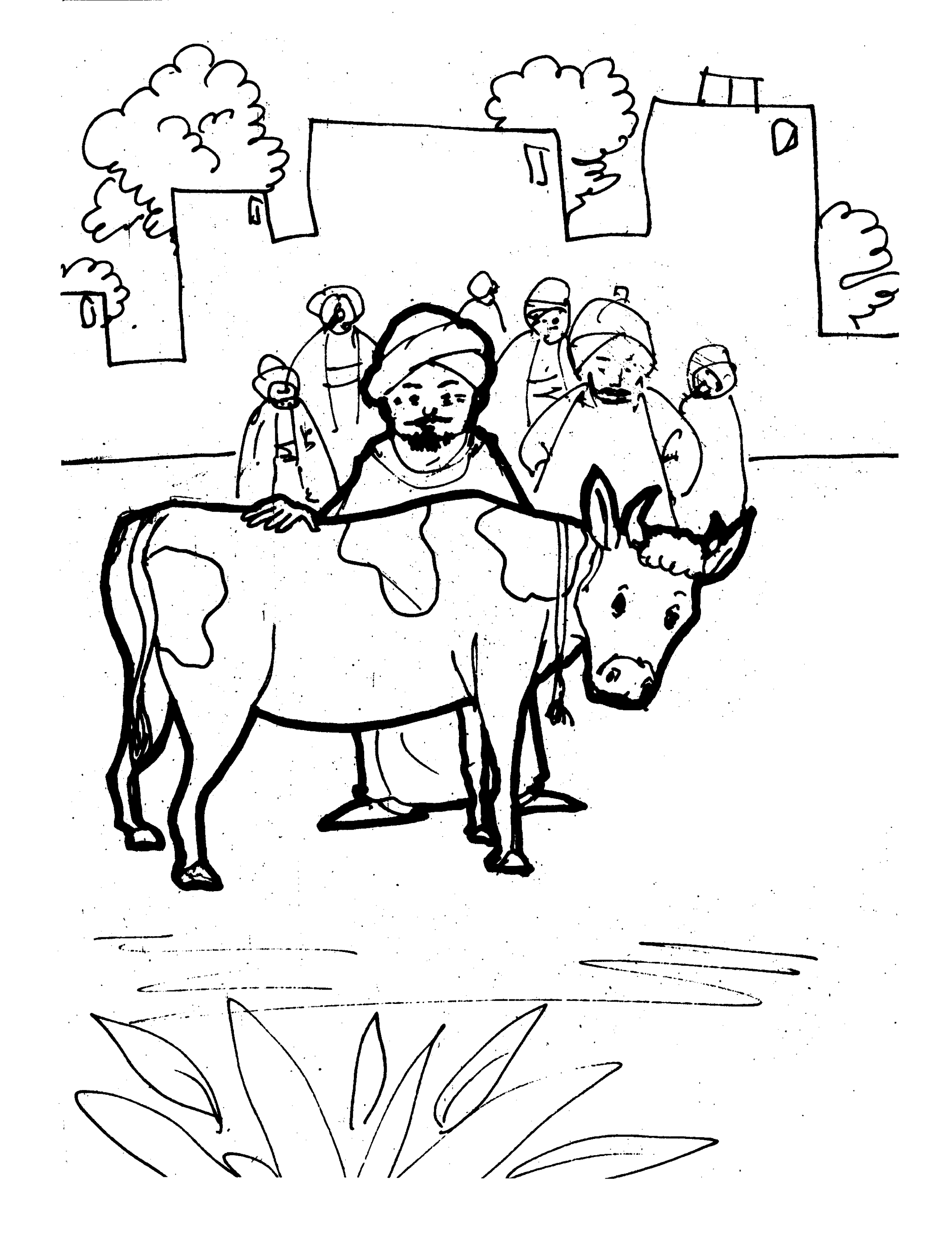
وعدتُ إلى رعاية ولده وتعليمه حتى أصبح فى أحسن حال.

ولم يمض وقتٌ طويلٌ حتى جاءنى الراعى حزيناً وهو يقول: سيدى.. قد ماتت البقرة!

واستقبلنى خاصة الملك بالحزن والأسى، وجاءوا إلىّ يعزوننى فى البقرة كأنها إنسان عزيز ودَهِشتُ من أمرهم.

ثم بعث الملك إلىّ بقرةً أُخرى فتيةً قويةً، فأرسلتها إلى الراعى.

وظلَّ الغُلامُ يترددُ علىّ كل يوم، لايتخلَّفُ عن موعده ويزدادُ وعياً وعلماً وأنا أعلمه العربيةَ والحسابَ.



ولم تمضِ مدةٌ طويلةٌ حتى جاءنى الراعى بالبشرى فقال: أبشر أيها الرجل.. قد حملتْ البقرةُ.

فقلت: حمدًا لله.

فلما انتهى حملها ووضعت، جاءنى حاشية الملك جميعاً يهنؤننى.

ثم عقد الملكُ مجلساً عاماً حضره رجالُه، وأحضر التجارة التى رأيتموها معى وقال لى:

« أيها التاجر.. لم يذهبْ هباءً حقُّك فى مُقابل تعليم ابنى.. فقد اجتــهدتَ وكنت مُعلماً أميناً. وإننى لم أبعـث بالبقرة الأولى إليك لفضل البقرة عندى، ولكن نزلت بك محنةٌ فى البحر أتت على مالك فامتحنتُ بهذه البقرة حالك - والله وحده يعلم الغيب **﴿وماتدرى نفس ماذا تكسب غداً، وماتدرى نفس بأى أرض تمــــوت﴾** ولما أُخبرتُ أنها ماتتْ، أدركتُ بظنى أن المحنةَ لاتزالُ عالقةً بك.



ثم امتحنت بالبقرة الثانية حالك، فلما أُخبرتُ أنها - أى البقرة - قد حملتْ، ظننتُ أن المحنةَ قد انحسرتْ عنك، فَسررتُ بذلك، وانتظرتُ فلما ولدتْ البقرةُ مولوداً كاملاً صحيح الأعضاء توقعتُ أنكَ قد فَارقْتَ محنتك وهذا الذى تراهُ أمامكَ من مالٍ وعطورٍ هو ما أعددتُه لك فى مقابل جُهدك فى تعليم الغلام.

وحملوا كلُ ذلك إلى السفينةِ، فشكرتهم وودعتهم».

« تمـــت »